

الدخيل في التفسير

أسبابه، وعلاماته، وواجب العلماء نحوه

إعداد الدكتور

إبراهيم حسني عبدربه إبراهيم

من ٣٢١٧ إلى ٣٢٣٤



مُتَكَلِّمَاتُ

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلامُ على رسولهِ الكريم... وبعد...
فالقُرآنُ الكريمُ هو الكتابُ الخاتمُ الذي تولى اللهُ حفظه بنفسه، مما جعله حصناً حصيناً لا
يخترقه حقدُ الحاقدين، ولا تناله أيدي العابثين.

ولقد أجمع الكُمَّلَةُ من علمائنا على أن الصحابة أخذوا عن رسول الله لفظ القرآن
ومعناه كما أخذوا عنه السنة، وأن أجيال الأمة تَلَقَّت القرآنَ عنه (ﷺ) لفظاً ومعنى،
وهذا مما يجب أن يُعَلِّمَهُ كلُّ سلفٍ لكلِّ خلفٍ؛ حتى لا يقعوا في تفسيرٍ يُفَرِّغُ القرآنَ من
مضمونه ويأتي الأمةَ بقرآنٍ غيره.

وظلَّ المسلمون يفهمون القرآنَ فهمًا صحيحًا لا شائبةَ فيه ولا دَخَلَ، إلى أن جَدتْ أمورٌ
أتاحت الفرصةَ لانتشار الدخيل في التفسير والتبَّاسِ الصحيح منه بالعليل، وذلك بعد
أن اتسعت رقعة الإسلام، ودخل النَّاسُ في دين الله أفواجًا؛ ذلك لأنَّ المعتنقين للإسلام
من أهل الديانات الأخرى كانوا على صنفين:

صنَّفَ اعتنقه عن حب وإخلاص وسلامة صدر؛ فأفنوا أعمارهم في خدمته، وصنَّفَ
آخر تظاهر بالدخول في الإسلام، وراح يبثُّ سمومه في تفسير آياته وتوضيح معانيه بعد
أن ينسوا من تحريف القرآن من جهة ألفاظه، راحوا يبثون سمومهم في تفسير آياته،
وتوضيح معانيه.

كما ابتليت الأمة بعد مقتل عثمان بن عفان بانقسام المسلمين إلى طوائف وشيع،
فظهَّرت الخوارج، والمعتزلة، والقدرية، والمرجئة، والجهمية، وغيرهم.

كذا ابتليت الأمة بالقُصَّاصِ والوعَّاطِ الذين ظهروا بعد عصر الخلافة مُتخذين من
الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة مادةً خصبة لمواعظهم؛ وذلك لاشتغالها على
الغرائب والعجائب التي يستميلون بها قلوب العوام وعقولهم.

أضف إلى ذلك ما وضعه الوضَّاعون من أحاديث في فضائل القرآن وتفسير آياته زاعمين
بذلك أنَّهم يخدمون القرآن.

أضف إلى ذلك . أيضاً . تساهل بعض المفسرين والإخباريين في نقل الإسرائيليات والأحاديث الموضوعية بدون بيان حالها من حيث القبول والرد، حيث "اختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال بُتْرًا، فدخل من هنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل"^(١).

ومما سبق يتضح لنا أهمية دراسة الدخيل في التفسير، وتنقية التفاسير مما دخلها من الإسرائيليات والأحاديث الموضوعية والضعيفة التي لا متابع لها ولا شاهد.

ولقد قَيَّضَ اللهُ طائفة من جهابذة العلماء للدَّبِّ عن حمى القرآن؛ فنفوا عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فكان لهم جهد يُشكر، وسابقة يد لا تُنكر.

هذا وقد مَنَّ اللهُ عليَّ بنعمة المشاركة في الدَّبِّ عن حمى القرآن من خلال هذا البحث الذي جاء بعنوان (الدخيل في التفسير . أسبابه، وعلاماته، وواجب العلماء نحوه)، والذي تكون من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

تحدثت في المقدمة عن حفظه تعالى للقرآن الكريم، وأسباب انتشار الدخيل في التفسير، كما بيَّنت فيها خطة البحث.

وأما المبحث الأول فتحدثت فيه عن تعريف الدخيل وأقسامه.

وتحدثت في المبحث الثاني عن تعريف الإسرائيليات، وأقسامها، وكيف تطرقت إلي كتب التفسير، وأثرها على الإسلام والمسلمين.

وتحدثت في المبحث الثالث عن أسباب الوضع في التفسير، وعلاماته.

وتحدثت في المبحث الرابع عما يجب أن يلتزم به المفسر بالنسبة للدخيل، وواجب العلماء تجاه تنقية كتب التفسير من الدخيل والإسرائيليات.

وتضمنت الخاتمة أهم النتائج والتوصيات، ومنه تعالى أستمد العون والتوفيق؛ فهو ولي ذلك والقادر عليه.



(١) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢٣٤٣/٧) طبعة مجمع الملك فهد بالمملكة العربية السعودية، بدون رقم الطبعة وتاريخها.

المبحث الأول

تعريف الدخيل وأقسامه

أولاً: المعنى اللغوي للدخيل:

برجعنا إلى المعاجم اللغوية وجدنا أن مادة هذه الكلمة تدور حول معان عدة، كلها لا تخرج عن أنه الشيء الذي يأتي من خارج فيدخل في ثنايا الشيء الأصلي في خفاء فيفسده ويعيبه، وبالتالي يضعفه ويجعله غير صالح للاستعمال والاستدلال^(١).

وهذا المعنى اللغوي ليس بمعزل عن الدخيل في التفسير؛ إذ هو عبارة عن عيب وفساد اجتهد صاحبه . غالباً . في دس حقيقته وإخفاء أمره، إما عن قصد أو عن غير قصد؛ فاختلط الدخيل بالأصيل، واحتاج الأمر إلى تأمل دقيق للتمييز بينهما.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي للدخيل:

وأما الدخيل في الاصطلاح، فهو ما نُقل من التفسير، ولم يثبت نقله، أو ثبت، ولكن على خلاف شرط القبول، أو ما كان من قبيل الرأي الفاسد^(٢).

ثالثاً: أقسام الدخيل:

ومن خلال التعريف الاصطلاحي للدخيل يمكننا تقسيمه إلى نوعين:

النوع الأول: دخيل النقل، وهو تفسير القرآن بمأثور غير صالح للحجية، ليس له أصل في الدين؛ لعدم ثبوت نقله، أو ثبت، ولكن على خلاف شرط القبول.
والنوع الثاني: دخيل الرأي، هو التفسير بالرأي الفاسد، الذي لا يتوافق مع قواعد الإسلام، وأصوله، مما يخل بمقاصد القرآن.



(١) ينظر لسان العرب لابن منظور، مادة (دخل)، طبعة دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى لسنة

١٩٩٧م

(٢) الدخيل في قصص التنزيل (ص: ٢٨) نقلاً عن كتاب (الدخيل في التفسير)، للأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة.

المبحث الثاني

تعريف الإسرائيليات، وأقسامها، وكيف تطرقت إلى كتب التفسير، وأثرها على

الإسلام والمسلمين

أولاً: تعريف الإسرائيليات:

الإسرائيليات جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، والنسبة لعجز المركب الإضافي لا لصدرة، "وهذا اللفظ وإن كان يدل بظاهره على القصص الذي يُروى عن مصادر يهودية، إلا أن علماء التفسير يستعملونه فيما هو أوسع من ذلك القصص؛ إذ هو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى التفسير من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدرٍ يهوديٍّ، أو نصرانيٍّ، أو غيرهما، بل توسع بعض المفسرين فعدوا من الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام في التفسير من أخبار لا أصل لها.

وإنما أطلق علماء التفسير لفظ الإسرائيليات على كل ذلك من باب التغليب للون اليهودي على غيره؛ لأن غالب ما يُروى من هذه الخرافات والأباطيل يرجع في أصله إلى مصدرٍ يهوديٍّ^(١).

ومن خلال ما أوردناه من تعريف الدخيل والإسرائيليات، نلاحظ أن بينهما عموماً وخصوصاً مطلقاً، بمعنى أن الدخيل أعم وأشمل من الإسرائيليات، وأوسع منها مفهوماً، فالإسرائيليات نوع من أنواع الدخيل، فكل ما هو إسرائيليات دخيل، وليس كل ما هو دخيل إسرائيليات.

ثانياً: أقسام الإسرائيليات:

تنقسم الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام باعتبارات مختلفة:

فتنقسم باعتبار الصحة وعدمها إلى صحيح، وضعيف، وموضوع.

(١) الإسرائيليات في التفسير والحديث، للدكتور محمد حسين الذهبي (ص: ١٣ : ١٥) بتصرف، طبعة مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الرابعة لسنة ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م

وتنقسم باعتبار موافقتها لما في شريعتنا ومخالفتها له إلى ما هو موافق لما في شريعتنا، ومخالف له، ومسكوت عنه ليس في شرعنا ما يؤيده أو يعاضه.

وتنقسم باعتبار موضوع الخبر الإسرائيلي إلى ما يتعلق بالعقائد، وما يتعلق بالأحكام، وما يتعلق بالمواعظ أو الحوادث التي لا تمت إلى العقائد والأحكام بصلة.

ثالثاً: كيف دخلت الإسرائيليات إلى التفسير:

المتأمل فيما قاله بعض أعلام التفسير المحدثين في هذا الصدد يلحظ أن الإسرائيليات تسربت إلى التفسير على تدرج في المرحلتين الأساسيتين اللتين مر بهما التفسير، وهما مرحلة الرواية، ومرحلة التدوين.

"أما مرحلة الرواية: فقد بدأ دخول الإسرائيليات في التفسير في عهد الصحابة الكرام؛ ذلك أنهم كانوا يقرؤون القرآن ويمرون على ما فيه من قصص وأخبار، فكانت نفوسهم تتشوق إلى معرفة تفاصيل هذا القصص، فيلقون بعض من أسلم من أهل الكتاب، فيسألونهم عما تشوقت نفوسهم إليه، فيجيبونهم بما يعرفون من ذلك، غير أن رجوع بعض الصحابة إلى أهل الكتاب في معرفة تفاصيل ذلك كان على نطاق ضيق جداً، كما أن هؤلاء الصحابة لم يسألوهم عن شيء مما يتعلق بالعقائد أو يتصل بالأحكام، اللهم إلا إذا كان على جهة الاستشهاد لما جاء به القرآن، كذلك كان الصحابة لا يعدلون عما ثبت عنه (ﷺ) من ذلك إلى سؤال أهل الكتاب، كما كانوا لا يسألون عن الأشياء التي يُشبه أن يكون السؤال عنها نوعاً من اللهو والعبث، كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف، ونوع خشب سفينة نوح، وغير ذلك، ثم جاء عصر التابعين، وفيه اتسع النقل عن أهل الكتاب، ونمت رواية الإسرائيليات في التفسير نمواً مزعجاً، ويرجع ذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام، وميل نفوس القوم لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية أو نصرانية، فظهرت في هذا العهد جماعة من المفسرين أرادوا أن يسدوا هذه الثغرات القائمة في التفسير بما هو موجود عند اليهود والنصارى، فحشوا التفسير بكثير من القصص المتناقض، ثم جاء بعد عصر التابعين من عظم شغفه بالإسرائيليات، وأفرط في الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يردون قولاً، ولا يحجمون عن

أن يلصقوا بالقرآن كل ما يُروى لهم وإن كان لا يتصوره العقل، واستمر هذا الشغف بالإسرائيليات والولع بنقل هذه الأخبار التي أصبح الكثير منها نوعاً من الخرافة، إلى أن جاء دور التدوين لل تفسير .

وأما مرحلة التدوين، فقد بدأت في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني، وفيها دُوِّنَ التفسيرُ ضمن أبواب الحديث، وكان في جملته خاليًا من الإسرائيليات إلا قليلاً منها لا يعارضه نص شرعي، وبعض منها مروى عنه (ﷺ) عن طريق صحيح، كأحاديث بني إسرائيل الموجودة في صحيح البخاري وغيره من أمهات الكتب، ثم جاءت الخطوة الثانية من مراحل التدوين، وفيها انفصل التفسير عن الحديث، ودُوِّنَ كل منهما على حده، وكان ما يُدَوَّن من التفسير في أول الأمر يُدَوَّن مقروناً بأسانيده، وكان من بين ما دُوِّنَ طائفة من الإسرائيليات غير قليلة، وكان من يفعل ذلك من المفسرين يرى أنه ما دام قد ذكر السند فقد خرج عن العُهْدَة كابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، ثم جاءت الخطوة الثالثة، وفيها اختصرت الأسانيد، ونُقِلَت الأقوال في التفسير دون إسنادها لقائلها، فاختلط الصحيح بالعليل، وكثرت الروايات الإسرائيلية في التفسير^(١).

رابعاً: أثر الإسرائيليات على الإسلام والمسلمين:

لا شك أن لرواية الإسرائيليات بما حوته من أباطيل وخرافات الأثر السيئ على الإسلام وعقائد المسلمين؛ حيث كانت الباب الواسع لطعون أعداء الإسلام، حيث إنها فتحت لهؤلاء الأعداء . وعلى رأسهم المستشرقين والمبشرين . منفذاً ينفذون منه إلى الطعن في الشريعة ورسولها، فقد وجدوا في تلك السموم ما يشبع هواهم ويرضي تعصبهم الممقوت ويشفي نفوسهم المريضة الحاقدة على الإسلام ونبيه، والقرآن، فنجدهم تلقفوا هذه الإسرائيليات وروجوها ونشروها على أنها من الإسلام، وهدفهم في ذلك تشويه سمعة الإسلام، ووسمه بالجهل والخرافات، حتى يجعلوا بين الإسلام ومن يريد أن يعتنقه حجاباً

(١) الإسرائيليات في التفسير والحديث (ص: ٢٢ : ٢٤) بتصرف.

عريضا، وحتى ينفروا أبناءه منه، فهم يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ولكن هيهات هيهات، فالله متم نوره ولو كره الكافرون.

كما كانت سبباً في تشويش العقيدة على المسلمين بما رُوِّجَ فيها من روايات مكذوبة لا تليق بجلال الله وأسمائه وصفاته، ولا تليق بعصمة الأنبياء الذين اصطفاهم الله على سائر خلقه، الأمر الذي كان سبباً في انتشار المذاهب الباطلة من مجسمة ومعطلة وقدرية وغير ذلك، وفي الحديث عن الأنبياء بما يتنافى مع حرمتهم ووجوب عصمتهم، فإن المتتبع للإسرائيليات في قصص الأنبياء يلحظ افتراء عريضا عليهم دون مراعاة لحرمتهم ووجوب عصمتهم، وما لهم من التوقير والإعزاز فهم حملة الرسالات وأعلام الهدى وفيهم القدوة والأسوة لكل البشر.

وأيضاً فإنها صورت الإسلام بأنه دين خرافي يعنى بترهات وأباطيل لا أصل لها، وكلها نسج عقول ضالة وخيالات لا يسندها شيء من العلم أو النقل الصحيح. كما كادت أن تذهب الثقة في بعض علماء السلف من الصحابة والتابعين، وذلك بإسناد هذه الإسرائيليات المنكرة إليهم، فيقع قارئها في شك وارتياب من الرواية وراويها، فتذهب الثقة بهؤلاء الأعلام الذين لهم مكانة في الإسلام. إلى غير ذلك من الآثار السيئة على الإسلام والمسلمين.



المبحث الثالث

أسباب الوضع في التفسير وعلاماته

أولاً: أسباب الوضع في التفسير:

يرجع الوضع في التفسير إلى أسباب متعددة أهمها:

١ . الخلافات السياسية والمذهبية:

فبعد مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان وتولى علي بن أبي طالب الخلافة، انقسم المسلمون إلى طوائف وشيع، وحاول كل حزب أن يؤيد موقفه بالقرآن، وطبيعي أن لا يكون مع كل حزب ما يؤيده في كل ما يدعي، فعمل بعض الأحزاب على أن يتأولوا القرآن على غير حقيقته، وأن يفسروه على ما يوافق مذهبهم وهواهم، وأن يُحمَلوا نصوصه ما لا تتحملة، فنسب الشيعة إليه (ﷺ) وإلى علي وغيره من آل البيت أقوالاً كثيرة في التفسير تشهد لمذهبهم، كما وضع الخوارج كثيراً من التفسير الذي يشهد لمذهبهم، وكان قصد كل فريق من نسبة هذه الموضوعات إليه (ﷺ) أو إلى أحد أصحابه الترويج للمروي، والإمعان في التدليس، ويلاحظ أن المروي عن عليّ وابن عباس قد جاوز حد الكثرة؛ ذلك أنهما من بيت النبوة، فالوضع عليهما يُكسب الموضوع ثقة وقبولاً وتقديساً ورواجاً^(١).

٢ . عداوة الإسلام:

ومن أسباب الوضع . أيضاً . ما فعله أعداء الإسلام الذين قصدوا إفساد الشريعة، فوضعوا الأكاذيب، واختلقوا الأباطيل ونسبوا زورا إليه (ﷺ) والصحابة التابعين، بقصد إفساد الإسلام من الداخل، والنيل منه، والتشويش على تعاليمه، وصرف الناس

(١) ينظر: التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي (١/١١٦)، مكتبة وهبة بالقاهرة، بدون رقم الطبعة وتاريخها، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، للدكتور محمد أبو شهبة (ص: ٨٦)، طبعة مكتبة السنة، الطبعة الرابعة لسنة ١٤٠٨ هـ

عنه، وتفريق صفوف أتباعه وجنوده، وكان مجال التفسير والحديث من أوسع مبادئ الدس والإفساد لديهم، فجالوا فيهما وصالوا^(١).

٣ . القصاص:

فقد كانت هناك فئة تقص بالمساجد، وتذكر الناس، وترغبهم، وترهبهم، ولما كان هؤلاء ليسوا من أهل العلم بالحديث، وكان غرضهم من ذكر القصص استمالة العوام، فقد اختلقوا بعض القصص الباطل، وروجوا البعض الآخر بذكرهم له، وفي هذا الكثير من الإسرائيليات والخرافات والأباطيل، وقد تلقفها الناس منهم، لأن من طبيعة العوام الميل إلى العجائب والغرائب، ومن هؤلاء القصاص من كان يبتغي الشهرة والجاه بين الناس، ومنهم من كان يقصد التعيش والارتزاق، ومنهم من كان سعي النية خبيث الطوية، يقصد الإفساد في الدين، وحجب جمال القرآن بما يفسره به من أباطيل وخرافات^(٢).

٤ . الجهل بالدين مع الرغبة في الخير:

وهو صنيع كثير من الزهاد والعباد والصالحين؛ حيث يضعون الأحاديث في الترغيب والترهيب ونحوهما احتساباً للأجر عند الله، ورغبةً في حض الناس على عمل الخيرات واجتناب المعاصي فيما زعموا، وقد اغتر هؤلاء الزهاد كثيرٌ من العامة فصدقوهم ووثقوا بهم لما نسبوا إليه من الصلاح والزهد.

٥ . عدم الدقة في نقل أقوال الصحابة والتابعين:

فقد نُقل كثير من الأقوال، والآراء المنسوبة إلى الصحابة والتابعين من غير إسناد، ومن غير تحري عن روايتها، فمن تمّ التمس الصحيح بالضعيف، والحق بالباطل، وصار كل من يقع على رأي يعتمد ويورده، ثم يجيء من بعدهم فينقله على اعتبار أن له أصلاً، وتحسيناً للظن بقائله، ولا يكلف نفسه مؤنة البحث عن منشأ الرواية، وعمن رويت، ومن رواها عنه^(٣).

(١) المرجعان السابقان بنفس الصفحات.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص: ٨٩) بتصرف.

(٣) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص: ٩٣).

ثانياً: علامات الوضع وأماراته:

وضع أئمة علم الحديث قواعد يعرف بها الحديث الموضوع، وهي في مجملها ترجع إلى أربعة أنواع:

١ . ما يرجع إلى إقرار الواضع . ٢ . ما يتنزل منزلة الإقرار .

٣ . ما يؤخذ من حال الراوي . ٤ . قرائن في المروري .

وفي هذا يقول ابن الصلاح: "وإنما يعرف كون الحديث موضوعاً بإقرار واضعه، أو ما يتنزل منزلة إقراره، وقد يفهمون الوضع من قرينة حال الراوي، أو المروري، فقد وضعت أحاديث طويلة يشهد بوضعها ركافة ألفاظها ومعانيها"^(١).

أما الأول، وهو ما يرجع إلى إقرار الواضع، فمن المعلوم أن الاعتراف سيد الأدلة، فإذا اعترف الواضع على نفسه بعد توبته أنه وضع حديثاً يقول كذا وكذا، فإنه يكون حكماً صريحاً على الحديث بالوضع، إلا إذا تصورنا أنه كاذب في إقراره على نفسه، وفي ذلك يقول ابن دقيق العيد: "وهذا كاف في رده، لكن ليس بقاطع في كونه موضوعاً؛ لجواز أن يكذب في هذا الإقرار بعينه"^(٢).

وأما ما يتنزل منزلة الإقرار، فكأن يحدث بحديث عن شيخ، ثم يُسأل عن مولده، فيذكر تاريخاً يُعلم وفاة ذلك الشيخ قبله، ولا يوجد ذلك الحديث إلا عنده، فهذا لم يعترف بوضعه، ولكن اعترافه بوقت مولده يتنزل منزلة إقراره بالوضع؛ لأن ذلك الحديث لا يعرف إلا عند ذلك الشيخ، ولا يعرف إلا برواية هذا الذي حدث به والله أعلم^(٣).

ومما يتنزل منزلة الإقرار أيضاً، أن يصرح بتكذيب راويه جمعٌ كثيرٌ يمتنع في العادة تواطؤهم على الكذب أو تقليد بعضهم بعضاً.

(١) مقدمة ابن الصلاح (ص: ٩٩)، تحقيق نور الدين عتر، طبعة دار الفكر بدمشق لسنة ١٩٨٦ م بدون رقم الطبعة.

(٢) إسعاف ذوي الوطر بشرح نظم الدرر في علم الأثر، للشيخ محمد ابن العلامة علي بن آدم ابن موسى الأثيوبي الولوي (٢٨٨/١)، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى لسنة ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م

(٣) السابق (٢٨٩/١).

وأما ما يؤخذ من حال الراوي، فيراد به أنه توجد قرينة في حال الراوي تدل على وضعه للحديث.

وأما قرائن المروري، فيراد بها وجود قرينة في متن الحديث نفسه يعلم منها أن هذا الحديث موضوع، كأن يكون الحديث ركيكاً، أو يكون المتن مخالفاً للعقل، بحيث لا يقبل التأويل، أو أن يكون المتن مناقضاً لنص القرآن أو السنة المتواترة، أو الإجماع القطعي، ومن هذه القرائن أيضاً الإفراط بالوعيد الشديد على الأمر الصغير، أو الوعد العظيم على الفعل الحقير.

ثالثاً: ليس كل ما روي من الآثار في التفسير بسند ضعيف معدوداً من الدخيل؛ ليس كل رواية ضعيفة السند إلى الصحابة والتابعين في التفسير تندرج تحت الدخيل؛ لأنّ هناك روايات كثيرة في التفسير سندها ضعيف إلى الصحابة والتابعين لكنّ متنها صحيح ومقبول، ولا تُنكره العقول، ويتحمل لفظ الآية الكريمة دون تعسف، بل إنّ هناك من هذه الآثار ضعيفة السند ما تعضده وتؤيد معناه آيات من القرآن؛ لذا أقول بأنّ صحة المتن وتحمل اللفظ القرآني له يعد كالمعضد لهذا الراوي الضعيف، كما أنّ فيه إشارة أيضاً إلى أنّ هذه الرواية التي صحّ متنها تُعدّ مما ضبطه هذا الراوي الضعيف، وإلا لو أدرجنا كل أثر روي في التفسير بسند ضعيف ضمن الدخيل لما قبلنا أي رواية يرويها جَوْبِرٌ، أو سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ، أو عَطِيَّةُ الْعَوْفِي، أو غيرهم ممّن ضَعَفَهُم علماء الجرح والتعديل، مع أنّ هؤلاء أئمة في التفسير، بل إنّ منهم من لهم تفاسير كاملة بأسانيدهم.

لذا أقول إنّ من الخطأ أنّ ندرج كل أثر روي في التفسير بسند ضعيف ضمن الدخيل، وإتّما نقول إنّ بينهما عموماً وخصوصاً مطلقاً، فكل دخيل ضعيف وإن صحّ سنده، وليس كل أثر روي في التفسير بسند ضعيف دخيلاً.



المبحث الرابع

ما يجب أن يلتزم به المفسر بالنسبة للدخيل

وواجب العلماء تجاه تنقية كتب التفسير من الدخيل والإسرائيليات

أولاً: ما يجب أن يلتزم به المفسر بالنسبة للدخيل:

يجب على المفسر أن يكون يقظاً ناقداً حتى يستطيع أن يستخلص من هذا المهشيم المركوم من الدخيل والإسرائيليات ما يناسب روح القرآن، ويتفق مع النقل الصحيح، والعقل لسليم.

ومن ثم فلا يجوز له أن يرتكب النقل عن أهل الكتاب إذا كان في سنة نبينا بياناً لما أُجمل أو تعيين لما أُجمل في القرآن.

كما يجب عليه أن يراعي أن الضروري يُقدر بقدر الحاجة، فلا يذكر في تفسيره شيئاً من الإسرائيليات الموثوق بها إلا بقدر ما يقتضيه بيان الإجمال، وما يكفي أن يكون حجة على من خالف وعاند من أهل الكتاب.

وإذا اختلف المتقدمون في شيء من هذا القبيل وكثرت أقوالهم ونقولهم، فلا مانع من نقل المفسر لهذه الأقوال كلها على أن ينبه على الصحيح منها، ويُبطل الباطل، وليس له أن يحكي الخلاف ويُطلقه دون تنبيه على الصحيح من الأقوال وغير الصحيح منها؛ لأ، مثل هذا العمل يُعد ناقصاً لا فائدة فيه ما دام قد خلط الصحيح بالعليل، ووضع أمام القارئ من الأقوال المختلفة ما يسبب له الحيرة والاضطراب.

وقد يشير إلى ما قررناه من جواز نقل الخلاف عن المتقدمين على شريطة استيفاء الأقوال وتزييف الزائف منها وتصحيح الصحيح، وأن من الخير أن يُمسك المفسر عن الخوض

فيما لا طائل تحته ما جاء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُحْجِثُوا بِكُمُ الَّذِينَ آمَنُوا كَمَا كَفَرُوا بِكُمُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الكهف]

هذا، فإنه عالٍ أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضَعَفَ القولين الأولين، وسكت عن الثالث، فدل على صحته، إذ لو كان باطلاً لرده كما ردهما، ثم أرشد إلى أن الاطلاع على عدتهم

لا طائل تحته، فيقال في مثل هذا: (قل ربي أعلم بعدتهم)؛ فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه، فلهذا قال: (فلا تمار فيهم إلا مرأً ظاهراً)، أي: لا تُجهّد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك؛ فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب^(١).

وقد رأى بعض المحققين من المتأخرين . كالشيخ أحمد شاکر^(٢) . أن من الخير للمفسر أن يعرض كل الإعراض عن رواية ما لا يُجزم بصحته من الإسرائيليات، وأن تُجَنَّبَ كتاب الله ما لا نعرف صدقه أو كذبه، وقد رجح الدكتور الذهبي هذا الرأي حمايةً لكتاب الله عن لغو الحديث، وصوناً له عن الفضول والتزيد بما لا طائل تحته، ولا خير فيه^(٣).

ثانياً: واجب العلماء تجاه تنقية كتب التفسير من الإسرائيليات:

لا شك أن تراثنا التفسيري على اختلاف مناهجه لم يسلم شيء منه من أباطيل الإسرائيليات وخرافاتهما، وعلى علماء المسلمين عامة وعلماء الأزهر خاصة أن يقوموا بدراسة كل ما لدينا من كتب التفسير دراسة وافية شاملة تكشف عما في كل كتاب من أباطيل الإسرائيليات وخرافاتهما، ومن كل دخيل على كتاب الله تعالى، ويجذروا من تصديق ذلك وقبوله، ثم يجمعوا ذلك كله في كتاب مستقل يُنشر في الأوساط العلمية والعامّة، والله أرجو أن يوفقنا للخير.



(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص: ٤٣)، طبعة دار مكتبة الحياة، بيروت لسنة ١٤٨٠م بدون رقم الطبعة.

(٢) عمدة التفسير للشيخ أحمد شاکر (١/١٥)، طبعة دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الثانية لسنة ٢٠٠٥م

(٣) الإسرائيليات في التفسير والحديث (ص: ١٦٧).

الخاتمة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاةُ والسلامُ على رسوله الكريم... وبعد ...
فقد اتضح للقارئ الكريم خطورة الدخيل على الإسلام والمسلمين؛ حيث إنها تُعد ثغرة سهلة ميسرة نفذ من خلالها أعداء الإسلام لتحقيق أغراضهم الدنيئة بالتشكيك في ديننا، وتشويه صورته من بين ثنايا كتبنا.
ومن ثم يتجلى لنا مدى أهمية الأبحاث التي تهتم ببيان الدخيل في التفسير؛ إذ إنها تغلق الباب في وجه أعداء الإسلام من المبشرين، والمستشرقين، وتوقفهم عن تنفيذ مخططاتهم الخبيثة، وترد كيدهم إلى نحرهم.
وأما التوصيات فأهمها:

- ١ . وجوب الاعتماد على ما صح من التفسير بالمأثور عند تفسير الآيات؛ إذ هو الأساس الذي يُعتمد عليه في تفسير كلامه تعالى، وهو أحسن طرق التفسير، وإن ضم إليه التفسير بالرأي الحمود كان حسناً.
- ٢ . تحري الاستشهاد بالأحاديث، والآثار الصحيحة، والحسنة . خاصة ما رواه البخاري ومسلم . دون الضعيفة والموضوعة، وبالأقوال الراجحة دون المرجوحة؛ إذ إنَّ في الصحيح غُنْية عن الضعيف، وفي الراجح غُنْية عن المرجوح.
- ٣ . الاهتمام بمادة الدخيل بجعلها مادةً مقررةً على جميع أقسام الكليات الشرعية؛ ليتنبه الطلاب إلى الروايات الدخيلة في التفسير، فلا يجعلونها بعد تخرجهم . خاصة الخطباء منهم . مادة خصبة لخطبهم ودروسهم في المساجد.
- ٤ . تشكيل لجان متابعة متخصصة من مجمع البحوث الإسلامية لتنقية المطبوعات الإسلامية من الروايات الدخيلة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



فهرس المصادر

- 📖 إسعاف ذوي الوَطَر بشرح نظم الدُرَر في علم الأثر، للشيخ محمد ابن العلامة علي بن آدم ابن موسى الأثيوبي الولوي، طبعة مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى لسنة ١٤١٤هـ ١٩٩٣م
- 📖 الاتقان في علوم القرآن، للسيوطي، طبعة مجمع الملك فهد بالمملكة العربية السعودية، بدون رقم الطبعة وتاريخها.
- 📖 الإسرائيليات في التفسير والحديث، للدكتور محمد حسين الذهبي، طبعة مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الرابعة لسنة ١٤١١هـ ١٩٩٠م
- 📖 الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، للدكتور محمد أبو شهبة، طبعة مكتبة السنة، الطبعة الرابعة لسنة ١٤٠٨هـ
- 📖 التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة بالقاهرة، بدون رقم الطبعة وتاريخها.
- 📖 الدخيل في التفسير، للأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة.
- 📖 عمدة التفاسير، للشيخ أحمد شاکر، طبعة دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الثانية لسنة ٢٠٠٥م
- 📖 لسان العرب، لابن منظور، طبعة دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى لسنة ١٩٩٧م
- 📖 مقدمة ابن الصلاح، تحقيق نور الدين عتر، طبعة دار الفكر بدمشق لسنة ١٩٨٦م بدون رقم الطبعة.
- 📖 مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية، طبعة دار مكتبة الحياة، بيروت لسنة ١٤٨٠م بدون رقم الطبعة.

